تطلّعات مسلمي بوركينافاسو بعد فوز الرئيس روك كابوري

هارون سوادغو
كاتب وباحث – بوركينافاسو

كان الشّعب البوركيني على موعدٍ استثنائيٍّ، يوم الأحد التّاسع والعشرين من نوفمبر ٢٠١٥م، مع انتخاباتٍ تاريخيةٍ مزدوجة؛ لاختيار رئيس الدّولة وأعضاء الجمعية الوطنية (البرلمان).

وتأتي هـــذه الانتخابات لتضع حدّاً للمرحلة الانتقالية التي كان يعيش فيها البلد بعد الإطاحة بالرئيس المخلوع (بليـــز كومباوري)، إثر الثّورة الشّعبية العارمة في ٣٠ و ٣١ أكتوبر ٢٠١٤م.

أُجرِيَتْ هذه الانتخابـــات التّاريخية في جوٍّ سياســـيٍّ واجتماعيّ هادئٍ، يسوده التفاهم بين مرشّحي مختلف الأحزاب السّياسية المتسابقة إلى قصر كوسّيام الرّئاسي.

وأجمع المراقبـــون الدّوليـــون والمحلّيون، والقائمـــون على اللّجنـــة الانتخابيـــة الوطنية المستقلة، ونشطاء مؤسّسات المجتمع المدني، علـــى أنّ الانتخابـــات جـــرت وفـــق الضّوابط والمعايير الدّولية؛ باســـتثناء بعض الاختلالات الفنية اليســـيرة التي لا تؤثّر في نزاهة العملية ومصداقية نتائجها.

وصعدت هذه الانتخابات الرئاسية بمرشّح حزب (حركة الشّـــعب من أجل التّقدم MPP) روك مارك كريســـتيان كابوري Roch Marc Christian KABORÉ إلـــى عـــرش الحكم، بعد أن أحـــرز ٥٣,٤٩٪ مـــن إجمالي أصوات النّاخبين، بينما احتلّ غريمه اللّدود زيفريندياربي Zéphirin DIABRÉ الترتيب الثّاني؛ بإحراز ٢٩,٦٥ ٪ من الأصوات.

وفيما يأتي تعريفٌ موجزٌ بالرّئيس المنتخب، ومحاولة لتســـليط الضّوء على تطلّعات الشّعب البوركينـــي وطموحاته في السّـــنوات الخمس القادمة في ظلّ حكم هذا السّياســـي المخضرم والخبير بشؤون البلد وأسراره.

أولاً: تعريف موجز بالرئيس المنتخب:

وُلد هذا السّياسيّ الخمسينيّ في ٢٥ أبريل ١٩٥٧م، في واغادوغو عاصمة بوركينافاسو، في أســـرةٍ مثقّفة وثرية، فقد كان والده بيلا شارل كابـــوري Bila Charle KABORÉ من أوائل المثقفيـــن الذين تقلّدوا مناصب مهمّة في البلد

الشعب يأمل أن يبقى بلده نموذجاً يُضرب به المثل في الأمن والاستقرار والتعايش السّلمي

المسمّى حينذاك باسم: فولتا العليا، إذ كان زيراً للمالية ووزيراً للصحـــة، كما كان نائب محافظ المصرف المركـــزي لدول غـــرب إفريقيا من ١٩٧٧م إلى ١٩٨٢م.

أمّا الرئيس روك مارك كريســـتيان كابوري: فقد عرف طريقه مبكراً إلى المراكز الحسّاسة في البلد، بعد تخرّجه في جامعة ديجون Dijon بشـــهادة الدّراســـات العليـــا المتخصّصة في الاقتصاد والإدارة في عـــام ١٩٨٠م، فقد عيّنه الرئيس الثوري الرّاحل توماسانكارا Thomas SANKARA ، فـــي ١٩٨٤م، مديراً لمصرف بوركينا الدّولي BIB، وظلّ في هذا المنصب إلى ١٩٨٩م، ثم تنقـــل وزيراً بين عديدٍ من الوزارات في تسعينيات القرن العشرين، منها وزارة النقل والاتصال، ووزارة المالية والتّخطيط، ورئاســـة والـــوزراء (مـــن ١٩٩٤م – ١٩٩٦م)، ثـــم ترأّس الجمعية الوطنية (البرلمان) لمدة عشر سنوات (مـــن ٢٠٠٢م إلى ٢٠١٢م)، كما أنّه كان رئيســـاً لحـــزب (المؤتمر من أجل الديمقراطية والتقدم CDP)، وهـــو حـــزب الرئيس المخلـــوع بليز كومباوري، من (٢٠٠٣م إلى ٢٠١٢م)[١].

(١) الموقع الرسمي للرئيس روك مارك كريستيان كابوري http://roch2015.org/?page id=8 ، والموقع الرسمي

وأمـام إصـرار الرّئيس المخلـوع (بليز كومباوري) على تعديل المادّة ٣٧ من الدّسـتور للاسـتبداد بالسّلطة؛ اسـتقال روك وصاحباه (صاليف ديالو وسـيمون كومباوري) من الحزب الحاكم وقتئذ، اعتراضاً على مسـاعي الرئيس للمسـاس بالمـادة المذكورة؛ فشـكّلوا بذلك الثلاثي المشـهور باسـم[1]: RSS، وأسّسـوا حزبهم المسمّى: (حركة الشعب من أجل التقدم MPP) فـي ٢٥ ينايـر ٢٠١٤م؛ برئاسـة روك مارك كريستيان كابوري.

وانضـمّ هذا الحـزب الذي وُلـد قويّاً إلى المعارضة، فزاد من زخم المعارضة ومؤسسات المجتمع المدني المناهضة لتعديل الدسـتور؛ فتتابعت المظاهـرات والمسـيرات، ثم وصل الاحتجاج إلى ذروته بتوجيـه المعارضة جميع أطياف الشـعب إلى امتثـال العصيان المدني، ودعوتهـا إلـى المظاهرات التي مـا لبثت أن تحوّلت – على غير المتوقّع – إلى ثورةٍ شـعبيةٍ عارمةٍ أطاحت بحكم الرّئيـس بليز كومباوري، الذي حكم البلاد لمدة سـبع وعشرين سنة (من ١٥ أكتوبر ١٩٨٧م إلى ٣١ أكتوبر ٢٠١٤م).

ثانياً: تطلعات الشّعب وطموحاته:

خـرج الشـعب البوركيني فـي يومي ٣٠ و ٣١ أكتوبـر ٢٠١٤م بصورةٍ فاقت كلّ التقديرات والتوقعـات؛ للتنديـد بالاسـتبداد والظلـم والمحسوبية؛ ولمحاربة الرشوة والفساد وغلاء المعيشـة؛ وللمطالبة بالحريـة والديمقراطية والعدالـة الاجتماعية، والتغييـر الجذري الذي يكون وقوداً حقيقيّاً للتنمية والتقدّم والازدهار.

وبعد الإطاحـة بالرئيس؛ رفع قادة المرحلة الانتقالية شعاراً مشهوراً، واتّخذوه رمزاً للتغيير المنشود، وهو: (لا شيء يبقى على حاله السابقة plus rien ne sera commeavant)؛ إيذاناً بهبوب رياح التغييـر الحقيقيّ في البلد، وهو الشعار الذي تلقفه الشعب، ولا يزال يجري على أفواه أفـراد المجتمع البوركيني، صغيرهم وكبيرهم، ليلاً ونهاراً.

وبجانب هذه التطلعـات والطموحات؛ فإنّ الشـعب يأمل أن يبقى بلده نموذجاً يُضرب به المثل في الأمن والاسـتقرار والتعايش السّلمي؛ في الوقت الذي تشـهد فيه بعـض الدول في المنطقة اضطرابات وتهديدات أمنية.

هذه هي أهمّ التطلعات الشعبية التي يتحتمّ على كابوري السعي جاهداً لترجمتها على أرض الواقع؛ لتعزيز ثقة أنصاره بقدرته وكفاءته على تحقيـق تطلعات الشـعب وطموحاتـه، وإقناع المشـكّكين في مصداقية توبته السياسية، وفي جدّيته على طلاق الممارسات والتجاوزات التي كانت سـائدة أيام أن كان أحد كبار المسؤولين في ظلّ النظام السابق؛ طلاقاً لا رجعة فيه.

بالإضافة إلى هذه التطلعات؛ فإنّ الشـعب سـيختبر مدى وفاء كابوري بالوعـود البرّاقة التي قطعها على نفسه في برنامجه الانتخابي، بالإضافة إلى المشـاريع الإصلاحية والتنموية التي يعزم من خلالها على إصلاح ما فسـد في ظلّ حكم النظام السابق على مدى سبعٍ وعشرين سنة؛ كإصلاح مؤسسات الدّولة، وعصرنة النظام الإداري، وتنميـة الرّأسـمال البشـري بتطوير

للقناة البوركينية /12/http://www.rtb.bf/2015 biographie-officielle-de-roch-marc-christian-/kabore

(١) RSS: مختصر للإشارة إلى هؤلاء القادة الثلاثة: روك مارك كريستيان كابوري Roch Marc Christian KABORÉ ، وصاليف ديالو Salif DIALLO، وسيمون كومباوري Simon COMPAORÉ، ويتكوّن هذا المختصر من الحروف الأوّلية للأسماء المذكورة. وهؤلاء الثلاث هم القادة الكبار في الحزب الفائز؛ فالأوّل يتولى رئاسة الحزب، والثاني نائبه الأوّل والمسؤول عن التوجيه السياسي للحزب، والثالث هو النائب الثاني للرّئيس.

قطاعات الصحـــة والتعليـــم والتكوين المهني، والارتقاء بالمرأة، وتنشـــيط الاقتصاد بالاهتمام بمجالات النمو وتفعيلها[١].

ويبـــدو أنّ ملـــف (العدالـــة والقضاء) قد يشكّل التحدّيّ الحقيقيّ للحزب الفائز في هذه الانتخابات؛ إذا علمنا أنّ سقف تطلعات الشعب فـــي جانب العدالة والقضـــاء مرتفعٌ جدّاً؛ على أن يكون معياره تحقيق قضاء شـــامل نزيهٍ غير انتقائي، كما أنّه متعطشٌ لمعرفة خبايا كثيرٍ من جرائم الاغتيالات السياســـية وجرائم اختلاس الأموال العامّة التي بقيت حبيســـة الأدراج على مدى ســـنوات حكـــم الرئيس المخلـــوع؛ والتي قد يكـــون في إثارة بعضها إزعـــاجُ لبعض كبار المسؤولين في الحزب.

ثالثاً: تطلعات مسلمي بوركينافاسو وطموحاتهم:

تقدّر نســـبة المســـلمين في بوركينافاســـو بـــ ٦٠,٥٪ من عدد الســـكان البالغ ١٨ مليون نسمة؛ ما يجعلهم الأغلبية من بين أتباع الأديان المنتشـــرة في ربوع البلاد[٢]، ومع ذلك فلا يعبّر نظام الحكم عن هذه الأغلبية قديماً وحديثاً، إذ لا نجد من بين الرؤســـاء الثمانية الذين تعاقبوا على الحكم في هذا البلد ســـوى رئيسٍ مســـلم واحد، وهو الجنرال أبو بكر ســـانغوليلاميزاناً Aboubacar SangouléLamizana، ثاني الرؤســـاء، وامتدّ حكمه من ٣ يناير ١٩٦٦م إلى ٢٥ نوفمبـــر ١٩٨٠م، وفي فتـــرة حكمه تعززت علاقة بوركينافاسو (فولتا العليا وقتئذ) بالعالم الإســـلامي، فانضمت إلـــى منظمـــة التعاون

يتحتّم على مسلمي بوركينافاسو، في الوقت الرّاهن، السّعي الجادّ لإعادة ترتيب البيت من الدّاخل، وتنسيق الجهود

الإسلامي في عام ١٩٧٤م[٣].

ومن أسباب سيطرة النّخب النّصرانية على نظـــام الحكم في البلد: دخولهـــم المبكّر – في فترة الاســـتعمار الغاشـــم – في عملية التعليم والتّكوين في المؤسسات التعليمية التّنصيرية في الدّاخل والخارج (السنغال أو فرنسا)، فأعدّتهم هذه المؤسسات ليكونوا قادةً للمستقبل، وهيّأت لهم الأســـباب، ومهدّت لهم الطـــرق لتولّي زمام الأمور عند رحيل الاســـتعمار؛ في الوقت الذي كان المســـلمون يتحفظون أشـــدّ التّحفظ من إلحاق أبنائهم بهذه المؤسّســـات خشية وقوعهم فريســـة سائغة للتنصير، ويســـعون في المقابل لترســـيخ الكتاتيب وتعزيز دورها في أوساطهم لنشر الدّعوة وتعاليم الدّين الإسلامي الحنيف.

وقد أثبت التّاريخ أنّ هذا الهاجس كان له ما يســـوّغه؛ إذ تنصّر معظم أبناء المسلمين الذين التحقوا بهذه المدارس لسببٍ أو آخر.

ويُضـــاف إلى هـــذا الســـبب، المتمثل في ضعف التكوين العلميّ في وسط المسلمين فجر الاســـتقلال، الدّور الدينيّ والسياسيّ للكنيسة في توجيه السياسة الوطنية ولا يزال؛ بينما ظلّ التردّد في المشـــاركة في العملية السّياسية من

(١) البرنامج الانتخابي للرئيس روك كابوري.

(٢) Recensement General de la population et de l'habitation (RGPH) de 2006; Analyses des résultats définitifs, thème 2 (état et structure de la population). P : 93.

(٣) http://www.oic-oci.org/oicv2/states

عدمها سـيّدَ الموقف عند المسلمين؛ لأسبابٍ كثيـرةٍ؛ منها: الاعتقـاد الرّائج بأنّ السّياسـة والدّيـن لا يتلاءمان؛ لقـذارة الأوّلى وحقارتها، وأنّ في الابتعـاد عنها نجاة بالدين من الطّمس والتّمييع.

وهذا الموقف من السياسة جعل المسلمين يولون اهتمامهم بالتّعليـم الدّيني غير مكترثين بالمجالات العلمية الأخـرى، كالإدارة والقيادة والمصرفيـة والسياسـة والصّحافة والطب... إلخ؛ فاسـتغلّ غيرهم هذه الثغرة للسيطرة على أجهزة الدّولة مع قلّتهم.

وقد عملـت جامعات الوطـن العربيّ على تكريس هذا الموقف، حين كانت تحصر الطلاب الوافدين من إفريقيا - بحسـن نية؛ مع شـيءٍ من الضّعف فـي التّقدير - فـي التّخصّصات الشّرعية والأدبيّة؛ فظلّ خريجو هذه الجامعات من أبناء بوركينافاسـو بعيدين عن مواقع النّفوذ السياسيّ وصناعة القرار.

أمّا عـن تبعيـات تحكّم المسـيحيّين في الرّئاسـة منذ الاستقلال إلى يومنا هذا؛ فمنها: فقدان الهوية، وتمكين حركـة التّنصير الدّولي بتذليل كلّ الصّعاب أمامهـا تحت غطاء العمل الخيري والإغاثـي، وتكريس العلمانية بالصّبغة الفرنسـية في مؤسسات الدّولة، فأصبح النّشء يتشرّبون سـموم هذه العلمانية في سنٍّ مبكّرةٍ في المدارس الحكومية والأهلية غير الإسلاميّة، حيث يُجرّد المسـلم من هويته وثقافته؛ فيصبح اسـماً بلا مسـمّى إلا مَن رحم ربي؛ بالإضافة إلى التّهميش المتعمّد للتّعليم العربيّ الإسلاميّ ومخرجاته في ظلّ التّشـتّت المَقيت الذي فرّق هذه المدارس فـي المناهجَ والشـهاداتٍ، مع غياب الإرادة القوية، فيما يبدو، لتنسيق الجهود مـن أجل تجاوز العقبـات والقضاء على تبعات التّهميش.

ومـع صعود نصرانيٍّ إلى سـدّة الحكم من جديد؛ لا يُرجى أن يكون هناك بصيصُ أملٍ في أن تعمل الحكومة على قلب هذه الحقائق وتغيير الواقع لصالح المسـلمين، فالأمل الّذي أصبح حلماً يراود المسـلمين لن يكون سـهل المنال؛ نظراً لتجـذّر العلمانية في عمق الدّولة، وتحكّم القوّة المستعمِرة في مفاصلها عن بُعد.

لكن أقصـى ما يؤمّله البوركينيون يتمثّل في الطموحات المشتركة بين أطياف المجتمع، وهي المذكورة أعلاه، بالإضافة إلى أنهم ينتظرون من الحكومـة المرتقبة مواصلة الـدرب في العمل علـى تعزيز حرية التّدين لهـم، كما يأملون ألا تلجـأ الحكومة إلى التضييـق عليهم في بعض الأمور تحت ذريعة محاربة الإرهاب والعنف؛ كما هو التوجّه حاليّاً في بعض دول القارة، أو بدعوى تكريس العلمانية.

وتجدر الإشـارة في هذا الصـدد إلى أنّه يتحتّم على مسـلمي بوركينافاسـو في الوقت الرّاهن: السّـعي الجادّ لإعادة ترتيب البيت من الدّاخل، وتنسـيق الجهود لرسم خططٍ محكمة متوسطة المدى وبعيدة المدى، لإثبات وجودهم في جميع المستويات والأصعدة بتحقيق التوازنِ السياسـيّ، أوّلاً[1] بالوصول إلى مراكز صناعة القـرار والتأثير؛ ثـم محاولة قلـب المعادلة لمصلحتهم.

ومن أهمّ الوسـائل إلى ذلك: العمل الدؤوب علـى توعيـة المسـلمين، عوامّهـم وأعيانهم ومثقفيهـم، عبر كلّ وسـائل الإعلام والتواصل المتاحة، على ضرورة مشـاركة المسـلمين في تولي المسؤوليات في أجهزة الدولة ومؤسساتها، بالمشـاركة المكثّفة والمسؤولة في الانتخابات

(١) للوقوف على ما يقترحه الباحث باري صديقي في هذا الجانب، ينظر: http://africansmajma.com/20

الرّئاسية والبرلمانية والبلدية؛ والاعتناء بالتكوين العلميّ والمهنيّ الرّصين، وتفعيل دور المؤسسات والجمعيات الإسلامية، وفي مقدّمتها رابطة الجمعيات الإسلامية التي ينبغي أن يكون لها دور المخطّط والموجّه والمراقب.

فالمتابع للمشهد السياسيّ البوركينيّ يلاحظ تقاعس المسلمين وانكماشهم عن الإسهام في تشكيل هذا المشهد، أو التأثير فيه على الأقلّ، فظلّ السّياسيون يستغلّون أصواتهم في تحقيق مآربهم من دون مردودٍ ملموسٍ ينصبّ في المصلحة العامّة.

ومن صور هذا الاستغلال: تواطؤ بعض القيادات الإسلامية مع الرّئيس المخلوع، في سعيه لتعديل المادة ٣٧ من الدّستور، بصورةٍ مخزية للغاية.

كما أنّ دور المسلمين في توجيه الحياة السياسية في المرحلة الانتقالية لم يختلف كثيراً عمّا كان عليه الوضع سابقاً؛ على الرّغم من حساسية المرحلة وأهمّيتها.

والعويل على سلبيات الماضي لا يجدي نفعاً ولا يدفع ضرّاً إن لم تُستخلص منها دروس مهمّة، وعليه؛ فإنّ الواجب على مسلمي بوركينافاسو في المرحلة الرّاهنة: الشروع فوراً في تنسيق الجهود، ورسم الخطط للمرحلة القادمة؛ لكي ينعكس الوزن الديموغرافي والاقتصادي للمسلمين على كلّ عملية سياسية قادمة في البلد.

ولعلّ تصاعد الوعي السياسي في وسط الشباب المسلم بالبلد يكون كفيلاً بالتّأثير في المعادلة السياسية، وما الندوة التي نّظمها الشباب المسلم قبيل الانتخابات – وإن جاءت متأخرة بعض الشيء – لنشر الوعي السياسي في صفوف المسلمين إلا بادرة طيبة تبشّر بمستقبلٍ مشرقٍ وواعد، كما يمكن اعتبار ترشيح بعض خريجي الجامعات الإسلاميّة والعربيّة للانتخابات البرلمانية نقطة انطلاق نحو المشاركة السياسية الواعية، التي ينبغي أن تأخذ في الاعتبار الثوابت والمبادئ الدّينية.

والله الموفّق والهادي إلى سواء السّبيل ■